كيف علَّم النبي ﷺ ترتيل ألفاظ القرآن الكريم؟

ما معنى قول أنس رضي الله عنه في وصف قراءة النبي ﷺ: "كانت مدًّا، يمد {بسم الله}، ويمد ب {الرحمن}، ويمد ب {الرحيم}"؟

مستل من كتاب المنهج النبوي في التعليم القرآني

أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي

المبحث الرابع:

تعليمه ﷺ ترتيل ألفاظ القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب:

التجويد- كمصطلح- استحدث ليعبّر عن الترتيل ونحوه من المصطلحات الشرعية، فلا بد من بسط مفهوم الترتيل لنرى كيف علمه النبي ﷺ لأصحابه رضي اللّه عنهم، واقتضى ذلك أن ينقسم المبحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الترتيل وأركانه.

المطلب الثاني: مثال على فروع الترتيل التي علمها النبي ﷺ.

المطلب الثالث: تعليمه ﷺ مراتب الترتيل.

المطلب الأول: الترتيل وأركانه

الترتيل في الوضع اللغوي:

يفهم من دلالات الوضع اللغوي للترتيل أنه الذي يجمع عدة دلائل [1]:

١- **حسن التنسيق والتنضيد للشيء المرتل:** ومنه «ثغْر رَتَل ورَتِل: حسن التنضيد مستوي النبات» والرتل: حسن تناسق الشيء.

٢- **حسن التنسيق بين أجزاء الشيء المرتل مع شدة البيان والظهور لها بحيث يتميز بعضها عن بعض:** ومنه يقال «ثغر رتل وهو المفلّج الذي بين أسنانه فروج لا

(١) انظر: لسان العرب (١١/ ٢٦٥)، مرجع سابق.

مكتبة المهتدين الإسلامية

يركب بعضها بعضاً، ورتّل الكلام: **أحسن تأليفه وأبانه وتمهّل فيه**»، وهذا لا يكون إلا إذا ميز كل حرف عن الآخر، وأبان كل حركة من الأخرى.

٣- **أن يكون حسنه على تؤدة:** ومنه كلام رتل أي مرتّل إذا كان «حسناً على تؤدة».

٤- **أن يكون التبيين والتمهل والتؤدة بغير بغي** يخرجه عن سنن الكلام المرتل، ويضبط هذا في ترتيل لفظ القرآن الكريم التلقي.

٥- **وهذا المعنى اللغوي للترتيل هو الذي يستلزم السكينة والوقار** فلا يكون التنسيق والتنضيد للكلام القرآني، والإبانة والتأني... مخرجاً له عن الكلام القرآني إلى الغناء المتخلع لما هو غير قرآن...

واجتمع هذا كله في تأويل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]؛ فقد قال بعض اللغويين فيها: «**ما أعلم الترتيل إلّا التحقيق والتبيين والتمكين**»، أراد في قراءة القرآن؛ وترتيل القراءة: **التأني فيها والتمهّل وتبيين الحروف والحركات**[(١)]، ولذا ففي صفة قراءة النبي ﷺ كان يرتّل آية آية[(٢)].

وإذا كان الرسول ﷺ كما قالت عائشة - رضي اللّه تعالى عنها-: **يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه لم يكن يسرد كسردكم وفي لفظ إنما كان حديث رسول اللّه فصلاً تفهمه القلوب**[(٣)]... فكيف به في ترتيل لفظ القرآن؟، وإذا كانت عائشة- رضي اللّه تعالى عنها- قد حفظت عنه ذلك في كلامه الشريف فكيف تراها تعلمت منه ترتيل لفظ القرآن الكريم، واللّه جل جلاله يقول: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي

---

(١) لسان العرب (١١/ ٢٦٥)، مرجع سابق.

(٢) نص حديث حذيفة مرفوعاً: (فقرأ قراءة حسنة يرتل فيها يسمعنا...) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٤٠١)، مرجع سابق.

(٣) البخاري (٣/ ١٣٠٧)، مسلم (٤/ ٢٢٩٨)، أبو داود (٣/ ٣٢٠)، مراجع سابقة.

http://www.al-maktabeh.com

﴿بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، ولذا حفظ عنه ترتيله للفظ القرآن الكريم بدقة بالغة أزواجه ﷺ.

مواضع ذكر كلمة الترتيل في القرآن الكريم:

وردت كلمة الترتيل في موضعين في القرآن الكريم:

الأول: جاء على سبيل الإخبار عن كيفية قراءة الملك الذي أقرأ النبي ﷺ حال تعليمه له ﷺ وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، فقد كان جبريل عليه السّلام إذا نزل بالعشر من القرآن أو نحوها نزل به مرتلاً، وإسناد الفعل إلى اللّه سبحانه وتعالى من باب إسناد ما هو للمأمور للآمر زيادة في التأكيد على أن ما أداه جبريل عليه السّلام هو ما أمر بتأديته حرفياً، وعن ابن عباس في هذه الآية قال: «فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل على النبي ﷺ يرتل ترتيلاً»، وفي لفظ: «فجعل جبريل ينزله على النبي ﷺ يرتله ترتيلاً» قال سفيان: خمس آيات ونحوها[1] هكذا (يرتله ترتيلاً) والفعل المضارع دال على أن الجملة حالية يراد به الكيفية المعروفة.

الثاني: في سورة المزمل على سبيل الأمر، وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

أركان الترتيل:

اجتمع لنا من خلال السابق أن متضمنات الترتيل وأركانه ستة هي:

أولاً: تبيين الكلام المرتل:

وذلك يكون بتبيين الحروف والحركات المكونة للكلام، فقد قال ابن عباس رضي اللّه عنهما في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]؛ قال: «بيّنه

(١) الضياء في المختارة (١٠/ ١٥٤)، مرجع سابق.

مكتبة المهتدين الإسلامية

تبييناً»[١]، وقد أكّد الأمر بالترتيل والإخبار عنه في آيتي الفرقان والمزمل بالمصدر، وذلك لما لأنه: «يدل على المبالغة على وجه لا يلتبس فيه بعض الحروف ببعض، ولا ينتقص من النطق من مخرجه المعلوم مع استيفاء حركته المعتبرة» [٢].

❖ وهذا التبيين في قراءة المرتّل يجب أن **يكون بحيث يتميز كل حرف عن الآخر، ولا يتميز عن الآخر إلا إذا عرف حق الحرف ومستحقه (التجويد)**، ولا يكون ذلك بالضرورة بالتوصيف العلمي الذي درج عليه المتأخرون، بل بالتطبيق العملي، فقد كان النبي ﷺ يعلمهم هذا على هيئة دقيقة، وكانوا يتعلمون منه الحروف وحقوقها عملياً، على أن معظم أحكام التجويد كان معروفاً عند العرب بسليقتهم اللغوية، **حتى استدل العلماء على جواز نطق الضاد ظاء** بأدلة ليس منها- فقط- ما ذكره «ابن جني في كتاب التنبيه وغيره أن من العرب من يجعل الضاد ظاء مطلقاً **في جميع كلامهم وهذا قريب وفيه توسع للعامة**»[٣]، بل ما ذكره الفخر الرازي في تفسيره من أن «المختار عندنا أن اشتباه الضاد بالظاء لا يبطل الصلاة ويدل عليه أن المشابهة حاصلة فيهما جداً والتميز عسير فوجب أن يسقط التكليف بالفرق وبيان المشابهة، وإذا ثبت هذا فنقول لو كان الفرق معتبراً لوقع السؤال عنه في زمن رسول اللّه ﷺ وفي أزمنة الصحابة لا سيما عند دخول العجم فلما لم ينقل وقوع السؤال عن هذا البتة علمنا أن التمييز بين هذين الحرفين ليس في محل التكليف»[٤].

---

(١) لسان العرب (١١/ ٢٦٥).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج.

(٣) (شعلة) أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين الموصلي ت ٦٥٦ هـ: شرح شعلة على الشاطبية المسمى كنز المعاني شرح حرز الأماني ص ٢٨، المكتبة الأزهرية للتراث.

(٤) انظر: تفسير الرازي.

http://www.al-maktabeh.com

ثانياً: التؤدة والتمهل في النطق بأجزاء الكلام المرتل:

سواء كانت حركات وحروفاً، حتى كأن الناطق به يقرؤه حرفاً حرفاً، فمعنى (رتل) أي: «انبذه حرفاً حرفاً»، والصورة التطبيقية من تعليم النبي ﷺ لصحابته رضي اللّه عنهم ما تعلمته أم سلمة- رضي اللّه تعالى عنها- من كيفية ترتيل القرآن الكريم فقد سأل يعلى بن مملك أم سلمة عن قراءة رسول اللّه ﷺ وصلاته فقالت: **وما لكم وصلاته؟ كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح ونعتت له قراءته فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً**[١].

- فقوله في الرواية (ثم نعتت) أي وصفت قراءة مفسرة أي مبينة حرفاً حرفاً أي كان يقرأ بحيث يمكن عد حروف ما يقرأ، قال الطيبي: «يحتمل وجهين الأول أن تقول كانت قراءته كيت وكيت والثاني أن تقرأ مرتلة كقراءة النبي ﷺ»[٢]، و«**المراد حسن الترتيل والتلاوة على نعت التجويد**»[٣].
- ومن أقوى أدلة التأني والتؤدة قوله جل جلاله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقد استدل البخاري بهذه الآية على الترتيل[٤]، وعن كريب قال: سألت ابن عباس عن جهر النبي ﷺ بالقراءة بالليل. فقال: «**كان يقرأ في حجرته قراءة لو شاء حافظ أن يتعلمها لتعلمها**»[٥].
- **تسلسل المنهجية:** فقد أنكر ابن مسعود رضي اللّه عنه على تلاميذه الهذّ في القراءة فعن أبي وائل قال غدونا على عبد اللّه فقال رجل: قرأت المفصل

---

(١) صحيح ابن خزيمة (٢/ ١٨٨)، مرجع سابق.

(٢) تحفة الأحوذي (٨/ ١٩٤)، مرجع سابق.

(٣) تحفة الأحوذي (٨/ ١٩٤)، مرجع سابق.

(٤) البخاري (٤/ ١٩٢٤)، مرجع سابق.

(٥) شعب الإيمان (٢/ ٣٨٣)، مرجع سابق.

مكتبة المهتدين الإسلامية

البارحة. فقال: «هذّاً كهذّ الشعر؟! إنا قد سمعنا القراءة وإني لأحفظ القرناء التي كان يقرأ بهن النبي ﷺ ثماني عشرة سورة من المفصل وسورتين من آل حم» [١].

❖ ومثل ذلك ما قاله أبو الدرداء رضي اللّه عنه: «إياكم والذين يحرفون القرآن وإياكم والهذّاذين بالقرآن الذين يهذّون القرآن ويسرعون بقراءته فإنما مثل ذلك كمثل الأكمة لا أمسكت ماء ولا أنبتت كلأ»[٢].

❖ وليس معنى ذلك أن يبطّأ في إخراج الحرف الآخر حتى يخرجه ذلك عن سنن الكلام المعتاد، بل المراد التمهل الزائد عن الكلام المعتاد مع إبقاء الحرف منسجماً ككلام، ولذا قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]: «بعضه على أثر بعض»، وقال الشافعي رحمه اللّه: «أقل الترتيل ترك العجلة في القرآن عن الإبانة»[٣].

❖ وكذلك مما يستشهد به على تعليم النبي ﷺ لهم التأني وتبيين الحروف ما جاء عن ابن عباس رضي اللّه عنه قال: بت عند خالتي ميمونة، فقام رسول اللّه ﷺ فزعاً فاستقى ماء فتوضأ ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] إلى آخر السورة، ثم افتتح البقرة فقرأها حرفاً حرفاً حتى ختمها.. [٤]..

---

(١) البخاري (٤/ ١٩٢٤)، مرجع سابق.

(٢) شعب الإيمان (٢/ ٥٤١)، مرجع سابق.

(٣) (البيهقي) أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر ت ٤٥٨ هـ: السنن الصغرى (١/ ٥٥٦)، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٠- ١٩٨٩.

(٤) الطبراني في الكبير (١٢/ ٢٠)، مرجع سابق.

http://www.al-maktabeh.com

ثالثاً: إشباع الحروف والحركات:

بحيث تأخذ حقها دون شطط، وهذا ما نطلق عليه (التمكين) حيث يتم «بأن يبيّن جميع الحروف ويوفّيها حقها من الإشباع» [١]، وقال ابن حجر في معنى آية المزمل: «اقرأه مترسلاً بتبيين الحروف وإشباع الحركات»، حتى يكاد المرء يعد الحروف الخارجة من فم القارئ، وأخرج العسكري في المواعظ عن علي: «بينه تبييناً ولا تنثره نثر الدقل، ولا تهذّه هذّ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة» [٢].

رابعاً: حسن التنسيق والتنضيد:

والمراد التنضيد لعلاقة كل حرف بالآخر، وهذا ما نطلق عليه تحقيق الحروف، ولذا جعل الزجاج أصل الترتيل: «التفنين والتنسيق وحسن النظام»، وقد كان النبي ﷺ يعلمهم التشهد كما يعلمهم السورة من القرآن.

خامساً: أن يكون ذلك كله بغير بغي:

فلا يتولد من الحرف آخر، ولا من الحركة حرفاً، فالتّرتيل في القراءة «الترسل فيها والتبيين بغير بغي» [٣].

وسلك الباحث هذا السبيل في الجمع بين الأقوال لأن عادة السلف أن يفسروا الشيء ببعض معناه، «إذ المراد من هذا الأمر التبيين والإفصاح والتحسين، حتى يؤدي القرآن على أكمل وجه، فيظهر حسنه، ويبدو رونقه، وذلك لا يتم إلا بالتجويد» [٤].

---

(١) لسان العرب (١١/ ٢٦٥)، مرجع سابق.

(٢) روح المعاني (٢٩/ ١٠٤)، مرجع سابق.

(٣) مختار الصحاح (١١/ ٩٨)، مرجع سابق.

(٤) انظر: سنن القراء ص ٦٨، مرجع سابق.

مكتبة المهتدين الإسلامية

سادساً: أن يكون ذلك على نحو مستملح مستطاب:

في حدود التلقي الذي ضبط وحدّد بقواعد موزونة، وهو الذي أمر به النبي ﷺ فقال: «زينوا أصواتكم بالقرآن » كما سيأتي إن شاء اللّه عزّ وجلّ.

وقد كان النبي ﷺ يعلمهم ذلك عملياً في حلقات الإقراء:

أو في التبليغ العام، أو في الصلوات الجهرية من فرائض وتطوع، وحسبك أن تكون ثلاث صلوات يعلمهم فيها أداء القرآن تلقيناً.

ومن ذلك ما جاء عن حذيفة رضي اللّه عنه قال: أتيت رسول اللّه ﷺ ذات ليلة لأصلي بصلاته فافتتح فقرأ قراءة ليست بالخفية ولا بالرفيعة قراءة حسنة يرتل فيها يسمعنا.. [1]..

وتستلزم هذه الستة ركناً سابعاً هو: السكينة والوقار:

إذ لا بد منه في الترتيل لتضبطه «و هو ضابط من ضوابط التجويد والتغني».

زمن القراءة حال الترتيل:

لا شك أن الترتيل بهذه الأركان يقتضي أن تكون القراءة أطول من المقروء وهذا سمت النبي ﷺ في ترتيله فعن حفصة رضي اللّه عنها قالت: **ما رأيت رسول اللّه ﷺ في سبحته قاعداً قط حتى كان قبل وفاته بعام فكان يصلي قاعداً ويقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها**[2]. **وهذا هو المعمول به عند المسلمين في قراءة القرآن، وإن تفاوت زمن القراءة عندهم.**

وقد تعلم الصحابة رضي اللّه عنهم كيفية ترتيله حتى النساء، كما في السؤال الذي سئلته أم سلمة- رضي اللّه تعالى عنها- عن قراءة رسول اللّه ﷺ فوصفتها له بالأداء التطبيقي كما سبق.

---

(١) أحمد (٥/ ٤٠١)، مرجع سابق.

(٢) مسلم (١/ ٥٠٧)، ابن خزيمة (٢/ ٢٣٨)، ابن حبان (٦/ ٢٥٣)، أبو عوانة (١/ ٥٣٢)، مراجع سابقة.

http://www.al-maktabeh.com

والترتيل مطلوب من القارئ في الدنيا والآخرة:

وقد روى هذا سلسلة القراء فعن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عن آخر آية تقرؤها»[١]، فقوله «و رتل» أي: «اقرأ بالترتيل ولا تستعجل بالقراءة كما كنت ترتل في الدنيا **من تجويد الحروف ومعرفة الوقوف**»[٢].

العلاقة بين الترتيل والتجويد:

ومما سبق، وبمقارنة ما فصلناه من أركان الترتيل السبعة بأركان التجويد الثلاثة، وبالمقارنة التي تضمنها الكلام التفصيلي عن أركان الترتيل بتعريف التجويد نصل إلى حقيقة ظاهرة في العلاقة بين الترتيل والتجويد: فالعلاقة بينهما هي المثلية، فترتيل القرآن هو التجويد، إلا أنه اصطلاح حادث، ثم صار يطلق أكثر على التوصيف العلمي الدقيق منه على المطلوب العملي.

المطلب الثاني: مثال على فروع الترتيل التي علمها النبي ﷺ (المد):

يمثل المد أساس هيئة التغني الواضحة المميزة للقرآن من أحكام التجويد (الترتيل)، فكان لا بد من الكلام على ما يدل على تعليم النبي ﷺ لأصحابه هذا الحكم، وقد اعتنى العلماء بإيضاح ذلك حتى بوب أهل العلم له أبواباً مستقلة، ومنهم الإمام البخاري[٣] مع أن التلقي كاف في الإثبات لذلك، لكن نذكر هذا التفصيل لزيادة البيان والإيضاح:

---

(١) السنن الكبرى للنسائي (٥/ ٢٢)، مرجع سابق.

(٢) تحفة الأحوذي (٨/ ١٨٧)، مرجع سابق.

(٣) انظر: البخاري (٤/ ١٩٢٤)، مرجع سابق، وانظر: أصوات القرآن ص ٢٠، مرجع سابق.

مكتبة المهتدين الإسلامية

١- فقد كانت يظهر في قراءة النبي ﷺ المد فقد قال قتادة: سألت أنساً كيف كانت قراءة النبي ﷺ قال: «كانت مداً» [١]، وفي لفظ: «كان يمد مداً»[٢]، وفي لفظ «**كان يمد صوته مداً**»[٣]، أي كانت ذات مد[٤]، فيطيل الحروف الصالحة للإطالة يستعين بها على التدبر وتذكير من يتذكر[٥].

٢- ومثّل أنس لهذا النوع من المد فقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] يمد ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ ويمد ب﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ويمد ب﴿الرَّحِيمِ﴾[٦].

وهذا التمثيل يدل على غاية التحقيق في الترتيل فإن مد الكلمات الثلاث (اللّه، الرحمن، الرحيم) والمراد مد اللام التي قبل الهاء من الجلالة، والميم التي قبل النون من الرحمن، والحاء من الرحيم في غير الوقف عليها هو من نوع الأصلي، ومعلوم أن المد الأصلي مقداره حركتان فهو مد طبيعي، وأجاز بعض علماء التجويد مده ثلاث حركات عند الأخذ بوجه التحقيق... وهذا ما ينطبق على هذه الرواية ولذا رجح العلماء أن «المراد من الترجمة الضرب الأول» [٧]، وفي هذا إثبات للمد الفرعي من باب الأولى، وقد قال الداني في حديث أنس رضي اللّه عنه: «ويمد (الرحمن)، ويمد (الرحيم)، وهو أصل في تحقيق القراءة، وتجويد الألفاظ،

---

(١) البخاري (٤/ ١٩٢٥)، مرجع سابق، وانظر: (الترمذي) أبو عيسى محمد بن سؤرة الترمذي ت ٢٧٩ هـ: مختصر الشمائل المحمدية، اختصره وصححه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٤، ١٤١٣ هـ.

(٢) البخاري (٤/ ١٩٢٤)، مرجع سابق.

(٣) السنن الكبرى للنسائي (١/ ٣٤٧)، صحيح ابن حبان (١٤/ ٢٢٢)، مرجعان سابقان.

(٤) فتح الباري (٩/ ٩١)، مرجع سابق.

(٥) (السندي) أبو الحسن نور الدين بن عبد الهادي (١١٣٨ هـ): حاشية السندي على النسائي (٢/ ١٧٩)، مراجعة: عبد الفتاح أبو غدة ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م، مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب.

(٦) البخاري (٤/ ١٩٢٥)، مرجع سابق.

(٧) فتح الباري (٩/ ٩١)، مرجع سابق.

http://www.al-maktabeh.com

وإخراج الحروف من مواضعها، والنطق بها على مراتبها، وإيفائها صيغتها، وكل حق هو لها، من تبيين ومد وتمكين وإطباق وتفش وصفير وغنة وتكرير واستطالة وغير ذلك، على مقدار الصيغة وطبع الخلقة، من غير زيادة ولا نقصان»[١].

٣- وأخرج ابن أبي داود من طريق قطبة بن مالك رضي اللّه عنه: سمعت رسول اللّه ﷺ قرأ في الفجر (ق) فمر بهذا الحرف ﴿لَمَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ [ق: ١٠] فمد نضيد[٢]، والمد في ﴿نَضِيدٌ﴾ من نوع العارض للوقف؛ إذ عادة رسول اللّه ﷺ الوقف على رؤوس الآي. وهذا المد في قراءته ﷺ دائم سواء كان في الصلاة وغيرها.

٤- ولا تنبغي المماراة في مده ﷺ لما يمد من الحروف في قراءة القرآن فقد كان كذلك ديدنه فيما يردده من شعر مرتجز يشبه الحداء في أماكنه فعن البراء بن عازب يحدث قال: لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول اللّه ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه وكان كثير الشعر، فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل من التراب يقول:

اللهم لو لا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا

قال: ثم يمد صوته بآخرها [٣] ولا يعترض على هذا بأن المراد هو رفع الصوت لا إطالته لأن المقام مقام ارتجاز مسموع على ما هو معتاد معلوم، **ومد الصوت يناسب الألف** تماماً في أبينا وتدل عليه الأحوال المعتادة في مثل هذا.

---

(١) التحديد في الإتقان والتجويد ص ٧٩، مرجع سابق.

(٢) فتح الباري (٩/ ٩١)، مرجع سابق.

(٣) البخاري (٤/ ١٥٠٧)، مرجع سابق.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وقد يمد المدود غير الواجبة مما هو جائز المد في قراءة التحقيق مثل ما اصطلح على تلقيبه بمد البدل كمده لكلمة (آمين) فعن وائل بن حجر رضي اللّه عنه قال: كان النبي ﷺ إذا قال آمين رفع بها صوته، وفي رواية: سمعت النبي ﷺ إذا قال: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[الفاتحة: ٧] قال: **آمين رفع بها صوته في الصلاة، وقال رأيت رسول اللّه ﷺ لما قال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] قال آمين يمد بها صوته**[١]، ف «رفع صوته بآمين وطول بها»[٢] حتى يسمعها الصف الأول فيرتج بها المسجد[٣]، ومد الصوت يأتي للمعنيين: إطالة الحرف، والجهر به[٤].

٥- وفي قول عبد اللّه بن مغفل رضي اللّه عنه يحكي ترجيع النبي ﷺ بمد الهمزة والسكوت «دلالة على أنه ﷺ كان يراعي في قراءته المد والوقف»[٥].

وتسلسلت المنهجية: فعن مسعود بن يزيد الكندي قال: كان ابن مسعود يقرئ رجلاً فقرأ الرجل ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] مرسلة، فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسول اللّه ﷺ. قال: كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن؟ قال: أقرأنيها إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ والْمَساكِينِ فمددوها[٦].

هل اختلاف أهل الأداء والمجودين من علماء القراءة في بعض الفروع الصغيرة مؤثر على التواتر القرآني؟:

الجواب: كل الاختلافات الأدائية التجويدية تعود إلى الترجيح اللغوي في بعض الفروع الموغلة في الدقة من حيث الأداء نحو المد المتصل هل يكون ثلاث

---

(١) البيهقي في الكبرى (٢/ ٥٧)، مرجع سابق.

(٢) البيهقي في الكبرى (٢/ ٥٧)، مرجع سابق.

(٣) ابن ماجة (١/ ٢٧٨)، مرجع سابق.

(٤) انظر: تحفة الأحوذي (٢/ ٥٩)، مرجع سابق.

(٥) فتح الباري (١٣/ ٥١٥)، مرجع سابق.

(٦) مجمع الزوائد (٧/ ١٥٥)، مرجع سابق: «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

http://www.al-maktabeh.com

حركات أو أكثر، والميم الساكنة هل تخفى عند الباء أم تظهر، ولا ضير من ذلك كله، كما هو واضح.

ملحوظات هامة:

١- لا يخفى أن الواجب من المد **قراءة لا رواية هو القدر المجمع عليه من المد؛ إذ هو أصل المد الذي لا تستقيم الكلمة بدونه وأما الزيادة على ذلك مما اختلف فيه القراء فواجب صناعي لا شرعي، كالوجوب في أداء الرواية.**

٢- اختلف أهل العلم في تقدير المراتب للقراء بالألفات في ما زاد على المد الطبيعي من أنواع المدود، وهذا الاختلاف «لا تحقيق وراءه بل يرجع إلى أن يكون لفظياً وذلك أن المرتبة الدنيا وهي القصر إذا زيد عليها أدنى زيادة صارت ثانية، ثم كذلك حتى تنتهي إلى القصوى وهذه الزيادة بعينها إن قدرت بألف أو بنصف ألف هي واحدة فالمقدر غير محقق، والمحقق إنما هو الزيادة، وهذا ما تحكمه المشافهة، وتوضحه الحكاية، ويبينه الاختبار، ويكشفه الحسن قال الحافظ أبو عمرو رحمه اللّه: وهذا كله جار على طباعهم ومذاهبهم في تفكيك الحروف، وتخليص السواكن، وتحقيق القراءة **وحدرها وليس لواحد منهم مذهب يسرف فيه على غيره إسرافاً يخرج عن المتعارف عليه في اللغة، والمتعالم في القراءة بل ذلك قريب بعضه من بعض، والمشافهة توضح حقيقة ذلك، والحكاية تبين كيفيته**»[1]، وإنما يزاد في ذلك للمبتدئ ليتقن كما قال حمزة يقول: إنما أزيد على الغلام في المد ليأتي بالمعنى[2].

وبذا يستبين أن الوجوب المذكور في حكم التجويد يراد به أصول هذه الأركان من الناحية العملية، وليس التفاصيل الموغلة في الأداء من غير المجمع عليه بين القراء إظهاراً وإدغاماً، وغناً ومداً، وتفخيماً وترقيقاً... وأما المختلف فيه إظهاراً وإدغاماً مثلاً فالسعة في القراءة بأيهما قائمة ما لم يسند ذلك إلى الرواية... ومثل

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ٣٢٦)، مرجع سابق.

(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ٣٢٦)، مرجع سابق.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ذلك حسن الأداء، والتزيين، والتحسين؛ إذ يراد منها ليس الوجوب على كل بحسب القدرة بقدر ما يراد أن يغير تصويته بالقرآن إلى هيئة مغناة مزينة، وهو ما يفعله كل المسلمين على تفاوت بينهم في مقدار حسن ذلك.

تواتر أركان التجويد (الترتيل):

بعد هذا العرض يتضح أن عمل المسلمين في التلاوة المقبولة بينهم يجعل التواتر لهذا العلم - عملياً- بينهم أمراً قطعياً لا يحتاج إلى أسانيد أصلاً؛ إذ هو عمل الأمة بأسرها: خاصتها وعامتها... فبعضه جزء من صميم لسانها الذي نزل القرآن به (وهو المخارج والصفات على التفصيل السابق) وبعضه هو المميز لتلاوة القرآن الكريم عن قراءة أي كتاب آخر... والمراد المجمع عليه مما يمثل الحد الأدنى المطلوب في الوجوب الشرعي.

المطلب الثالث: تعليمه ﷺ مراتب الترتيل

ملحوظة في معنى الترتيل:

سبق معنى الترتيل ودلالته اللغوية والشرعية، ولكن علماء القراءة يستعملون الترتيل في معنيين:

أحدهما عام وهو ما تقدم.

والثاني: أن هذا الترتيل العام من حيث مدى التؤدة والتأني ينقسم إلى مراتب هي المراتب المعروفة في علم القراءة والتجويد للقراءة، وهذا يعني أن الترتيل هنا يأتي بالمعنى العام الشامل للحدر والتدوير والمرتبة الثالثة التي قد تدعى بالترتيل، وقد تدعى بالتحقيق، وقد يستعمل هذا المصطلح في معنى خاص هو ما توفرت فيه

http://www.al-maktabeh.com

الأركان السابقة مع أعلى مراتب التؤدة اللائقة بقراءة القرآن وهو الذي اصطلح عليه بعض علماء القراءة ب (التحقيق)[١].

مراتب الترتيل:

وعلى هذا فإن مراتب الترتيل بالمعنى العام ثلاثة: ومحور تقسيمها وحيثيته هو مدى التأني والتؤدة، مع بقاء الأركان الأخرى للترتيل كما هي، فللتأني وللطمأنينة المقبولة في علم القراءة أعلى وأوسط وأدنى، فالأعلى اصطلح عليه بالتحقيق أو بالترتيل (بالمعنى الخاص) والأوسط يدعى بالتدوير، والأدنى يدعى بالحدر... ولكنها تشترك في جميع أركان الترتيل (بالمعنى العام)، وتتفاوت في ركن واحد هو التأني والتؤدة... كما أنها تتفق جميعاً في الركنيين الأولين من أركان التجويد العملي، وتتفاوت في مدى الإشباع الجائز للحركات والحروف والصفات العارضة التي تتعلق بالركن الثالث من التجويد العملي، ولذا قال العلماء في الفرق بين مراتب الترتيل- بعد أن جعلوها كيفيات جائزة للقراءة-:

الأولى: التحقيق[٢]:

وهو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد، وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات،

---

(١) ممن اصطلح عليه بالتحقيق: الإمام السيوطي في الإتقان (١/ ٢٦٥)، وذهب بعضهم مذهباً مغايراً فجعل مراتب القراءة أربعة يجمعها الترتيل بالمعنى العام، وأعلاها التحقيق وبعده الترتيل وجعل الفرق بين الترتيل وبين التحقيق فيما ذكره بعضهم أن التحقيق يكون للرياضة والتعليم والتمرين والترتيل يكون للتدبر والتفكر والاستنباط فكل تحقيق ترتيل وليس كل ترتيل تحقيقاً. انظر: الإتقان (١/ ٢٦٥)، مرجع سابق.

(٢) لم يستقر- حتى الآن- الفرق المصطلحي بين الترتيل والتحقيق، فقد ذهب البعض إلى عد مراتب القراءة أربعة مراتب منها التحقيق والترتيل والتدوير والحدر كما فعل ذلك الشيخ محمد مكي نصر في نهاية القول المفيد ص ١٤، وذهب البعض إلى جعلها ثلاثة مراتب هي الترتيل والحدر والتوسط كما فعل ابن أم قاسم في المفيد ص ٣٨، وذهب القدماء إلى جعل المراتب ثلاثة هي التحقيق والترتيل والحدر كما فعل الداني في التحديد ص ٧٠، والجزري في التمهيد ص ٦٢... وقد ألف هذا الكتاب وهو في التاسعة عشرة من عمره كما ذكر في آخره، وفي هذه الحالة فإن هذه المراتب- اصطلاحاً- هي المراتب الثلاث عند البعض: التحقيق (كما هو)، والتدوير (هو الذي أطلقوا عليه الترتيل)، والحدر (كما هو)، وهو الذي ارتضاه الباحث... وذلك أن المتقدمين يجعلون التحقيق

مكتبة المهتدين الإسلامية

واعتماد الإظهار والتشديدات، وبيان الحروف وتفكيكها، وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترتيل والتؤدة، وملاحظة الجائز من الوقوف بلا قصر ولا اختلاس ولا إسكان محرك ولا إدغامه، وهو يكون لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ، ويستحب الأخذ به على المتعلمين من غير أن يتجاوز فيه إلى حد الإفراط بتوليد الحروف من الحركات، وتكرير الراءات... كما قال حمزة لمن سمعه يبالغ في ذلك: أما علمت أن ما فوق البياض برص، وما فوق الجعودة قطط وما فوق القراءة ليس بقراءة، وكذا يحترز من الفصل بين حروف الكلمة كمن يقف على التاء من نستعين وقفة لطيفة مدعياً أنه يرتل، وهذا النوع من القراءة يظهر في بعض طرق الإمام حمزة وورش بصورة جلية[1].

وقد صرّح بمصطلح التحقيق في حديث عزيز أسنده الداني مما يدل على تعليم النبي ﷺ هذا الأمر بدقة بالغة، فأسند الداني إلى ورش التحقيق، قال:

قرأ على نافع التحقيق، قال نافع: إنه قرأ على الخمسة (ذكر خمسة من مشايخه) التحقيق، قال: وأخبرني الخمسة أنهم قرأوا على عبد اللّه بن عياش بن أبي ربيعة التحقيق، وأخبرهم عبد اللّه **أنه قرأ على أبي بن كعب رضي اللّه عنه التحقيق، وأخبره أنه قرأ على رسول اللّه ﷺ التحقيق، قال: وقرأ رسول اللّه ﷺ علي التحقيق**، ثم قال أبو عمرو: هذا الخبر الوارد بتوقيف قراءة التحقيق من الأخبار الغريبة والسنن العزيزة التي لا توجد روايته إلا عند المكثرين الباحثين، ولا يكتب

للتعلم، والترتيل لطريقة التلاوة كالحدر... ولكن التحقيق مستعمل واقعاً في التلاوة كالترتيل من جهة، ومن جهة أخرى فإن جعل الترتيل مرتبة مع الحدر والتحقيق يوهم خروجهما من المعنى العام للترتيل الوارد في سورة المزمل، وليس كذلك؛ إذ الترتيل يشمل كل المراتب بمعناه العام وخروجاً من هذا اللبس ارتضى الباحث تقسيم المراتب إلى ثلاثة تنضوي تحت الترتيل هي: التحقيق، والتدوير، والحدر، وهو ما قرره ابن الجزري، ورجع إليه في آخر أمره حيث ذكر ذلك في النشر الذي ألفه في سنة ٧٩٩ هـ، أي وعمره تسع وأربعون سنة، فقسم في النشر (١/ ٢٠٥) المراتب إلى تحقيق، وتدوير، وحدر، وقال عن التحقيق: «هو نوع من الترتيل».

(١) انظر: الإتقان (١/ ٢٦٥)، مرجع سابق.

http://www.al-maktabeh.com

إلا عند الحفاظ الماهرين، وهو أصل كبير في استعمال قراءة التحقيق وتعلم الإتقان والتجويد، لاتصال سنده وعدالة نقلته، ولا أعلمه يأتي متصلاً إلا من هذا الوجه[١].

الثانية: الحدر:

هو إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمزة ونحو ذلك مما صحت به الرواية مع مراعاة إقامة الإعراب، وتقويم اللفظ، وتمكن الحروف بدون بتر حروف المد، واختلاس أكثر الحركات، وذهاب صوت الغنة، والتفريط إلى غاية لا تصح بها القراءة، ولا توصف بها التلاوة، وهذا النوع يظهر بصورة جلية في بعض طرق مذهب ابن كثير وأبي جعفر ومن قصر المنفصل كأبي عمرو ويعقوب [٢].

ويظهر الفرق جلياً بين الترتيل والحدر:

بما يسمعه الناس من الأذان والإقامة فإن الترتيل يكون في الأذان، والحدر يكون في الإقامة فعن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه يقول: **كان رسول اللّه ﷺ يأمرنا أن نرتل الأذان ونحدر الإقامة**[٣]، ومثله من فعل ابن عمر[٤]، ومعنى التّرتيل كأنه يقطع الكلام بعضه عن بعض، والحدر هو الإسراع من الحدور ضد الصعود[٥] فالترتيل هنا بالمعنى الخاص هو المبالغة في التأني... وعلى المرتبتين لا بد من إعطاء الحروف حقوقها كما قال الخاقاني:

---

(١) التحديد في الإتقان والتجويد ص ٧٩، مرجع سابق.

(٢) انظر: الإتقان (١/ ٢٦٥)، مرجع سابق، وانظر وصفاً لطبيعة القراءات السبع من حيث مراتب القراءة في: التحديد ص ٩٤، مرجع سابق.

(٣) الدارقطني (١/ ٢٣٨)، مرجع سابق، وانظر: تلخيص الحبير (١/ ٢٠٠).

(٤) مسند ابن الجعد ص ٣١٨.

(٥) النهاية في غريب الأثر (٢/ ١٦)، مرجع سابق.

مكتبة المهتدين الإسلامية

فـذو الحـذق معطـر للحـروف حقوقهـا إذا رتـل القـرآن أو كـان ذا حـدر

الثالثة: التدوير:

وهو التوسط بين المقامين من التحقيق والحدر، وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة، وهو مذهب سائر القراء، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء[١].

وكل هذه المراتب يصحبها الترتيل إلا أنها تختلف في مدى التؤدة والتأني، ولذلك أشار بعضهم فقال:

حـدود حـروف الـذكر في لفـظ قـارئ بحـدر وتحقيـق ودور مـرتلا

فـإني رأيـت الـبعض يتلـو القـرآن لا يراعـي حـدود الحـرف وزنـاً ومنـزلا[٢]

أي مراتب الترتيل هي الأفضل؟

وعلاقة هذا السؤال بالبحث تستبين بأن يقال بصيغة أخرى:

هل علمهم النبي ﷺ القراءة بالتحقيق أم بغيره؟

الجواب: الظاهر أن النبي ﷺ علمهم القراءة بمراتبها المختلفة، وإن لم تكن التسمية الاصطلاحية سائدة لكن الغالب على قراءته وأصحابه التحقيق المتوسط (يقرب من التدوير) لما تقدم من حديث حفصة تصف قراءة النبي ﷺ **يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها**[٣]، ولا يكون ذلك إلا بالتحقيق (الترتيل بمعناه الخاص) أو بالتدوير، وحديث حذيفة قال: **صليت مع النبي ﷺ ليلة... فقرأها يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع...** الحديث[٤].

---

(١) انظر: الإتقان (١/ ٢٦٦)، مرجع سابق.

(٢) نهاية القول المفيد في علم التجويد ص ١٩، مرجع سابق.

(٣) مسلم (١/ ٥٠٧)، مرجع سابق.

(٤) مسلم (١/ ٥٣٦)، أبو عوانة (١/ ٤٦٠)، مرجعان سابقان.

http://www.al-maktabeh.com

وقد تعلم منه الصحابة رضي اللّه عنهم التحقيق وأمروا به تلاميذهم ونفروهم من الهذّ الذي يتجاوز الحدر ولذا قال البخاري- رحمه اللّه تعالى-: «باب الترتيل في القراءة وقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] وقوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦] وما يكره أن يهذ كهذ الشعر»[١] وبوب النووي في مسلم: «باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ وهو الإفراط في السرعة»، وجاء رجل يقال له نهيك بن سنان إلى عبد اللّه، فقال: يا أبا عبد الرحمن! كيف تقرأ هذا الحرف ألفاً تجده أم ياء من آسن أو من ياسن؟ قال فقال: عبد اللّه وكل القرآن قد هذا قال إني لأقرأ المفصل في ركعة، فقال عبد اللّه: **هذا كهذ الشعر؟ إن أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع إن أفضل الصلاة الركوع والسجود..**[٢].

وهذا كله يدل على أن الغالب على قراءته التحقيق.

وقد علمهم النبي ﷺ الفرق بين الهذّ وبين الحدر:

فالهذ هو السرعة المفرطة التي تخل بقواعد التلاوة، والحدر هو الهذ المعتدل الملتزم بأركان الترتيل بمعناه العام: ويدل لهذا قول النبي ﷺ- فيما رواه عبد اللّه بن بريدة عن أبيه- قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعته يقول: «**... ثم يقال له اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً**»[٣]، وفي رواية «**فهو في صعود ما دام يقرأ حدراً كان أو ترتيلاً**»[٤]، فقوله «هذا كان أو ترتيلاً» يدل على أن المراد مدى السرعة في تتابع الصوت لا على ترك الأحكام،

---

(١) البخاري (٤/ ١٩٢٤)، مرجع سابق.

(٢) البخاري (١/ ٢٦٩)، مسلم (١/ ٥٦٣)، مرجعان سابقان.

(٣) الدارمي (٢/ ٥٤٣)، مرجع سابق.

(٤) وقال في مجمع الزوائد (٧/ ١٥٩)، مرجع سابق: «روى ابن ماجة منه طرفاً رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

مكتبة المهتدين الإسلامية

فالترتيل هنا بمعناه الخاص لا العام الشامل للحدر التدوير والتحقيق[١]، ويدل على هذا حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عن آخر آية تقرؤها**»[٢]، فإن هذا الحديث يبين معنى التخيير في الحديث الأول بأنه تخيير بين أنواع الترتيل بالمعنى العام الشامل لجميع مراتب الترتيل فلذا قال له هنا «**ورتل كما كنت ترتل في الدنيا**» أي بأحد أنواع الترتيل التي كان غالب قراءتك ترجع إليها، كما يبين هذا الحديث أن كلمة ترتيل في الحديث الأول هي بالمعنى الخاص التي ترادف التحقيق، أو يكون من باب الترتيل الذي بمعنى التأني والتؤدة «يطابق التحقيق الاصطلاحي».

❖ وقد علم الصحابة رضي الله عنهم تلاميذهم الحرص على الترتيل واجتناب الهذ والسرعة المفرطة: فعن أبي جمرة قلت لابن عباس رضي الله عنهما: **إني رجل سريع القراءة إني لأقرأ القرآن في ليلة فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لأن اقرأ سورة أحب إليّ، فإن كنت لا بد فاعلاً فاقرأ قراءة تسمعها أذنيك ويوعها قلبك**[٣]، وهذا الأخير هو الحدر الاصطلاحي، وسئل مجاهد - رحمه الله تعالى- عن رجل قرأ البقرة وآل عمران ورجل قرأ البقرة فقط قيامهما واحد ركوعهما واحد وسجودهما واحد فقال: الذي قرأ البقرة فقط أفضل ثم تلا ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦][٤].

---

(١) ويحتمل أن للقارئ ذلك حتى لو لم يقرأه على الطريقة الواجبة رحمة من الله وفضلاً... وهذا الاحتمال ضعيف.

(٢) النسائي في الكبرى (٥/ ٢٢)، مرجع سابق.

(٣) البيهقي في الكبرى (٣/ ١٣)، مرجع سابق.

(٤) أبو عبيد في الفضائل ص ١٥٨، مرجع سابق.

http://www.al-maktabeh.com

❖ **وعلى الرغم من أن الغالب على قراءة الرسول ﷺ هو التحقيق إلا أنه ﷺ** لا ريب قد قرأ لهم بالحدر فإن حديث قراءته بطولى الطوليين في المغرب يدل على ذلك استنباطاً.

❖ ولذا ذكر الحنفية استعمال الحدر في تهجد الليل فقيد الحنفية القراءة بالليل بالإسراع في القراءة، ولعل «وجه التقيد به أن عادة المتهجدين كثرة القراءة في تهجدهم فلهم الإسراع ليحصلوا وردهم من القراءة» [(١)]، ولكن كل الفقهاء يجعلون الإتيان بأقل الواجب الشرعي للتجويد أمر لا بد منه لصحة الصلاة، ونصوا في هذا على المد الواجب فقالوا وهم يتكلمون عن الحدر: «أن يمد أقل مد قال به القراء وإلا حرم لترك الترتيل المأمور به شرعاً»[(٢)].

❖ والصحيح في هذا الباب التفصيل، فالقرآن العزيز «يقرأ للتعلم، فالواجب التقليل والتكرير، ويقرأ للتدبر، فالواجب الترتيل والتوقف، ويقرأ لتحصيل الأجر بكثرة القراءة، فله أن يقرأ ما استطاع»[(٣)]، ومعنى هذا أنه يستحب لكل إنسان ما يوافقه طبعه ويخف عليه فربما يكلف غير ذلك مما يخالف طبعه فيشق عليه ويقطعه ذلك عن القراءة أو الإكثار أما من تساوى عند الأمران فالترتيل أولى...

وأشار الخاقاني إلى ذلك بقوله:

وترتيلنا القرآن أفضل للذي ... أمرنا به من لبثنا فيه والفكر

ومهما حدرنا درسنا فمرخص ... لنا فيه إذ دين العباد إلى اليسر

---

(١) حاشية ابن عابدين (١/ ٥٤١)، مرجع سابق.

(٢) حاشية ابن عابدين (١/ ٥٤١)، مرجع سابق.

(٣) جمال القراء وكمال الإقراء (٢/ ٥٤٧)، مرجع سابق.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وكان الناس منذ العهد الأول قد تعلموا ذلك من النبي ﷺ:

فصاروا يستعملون كل مرتبة في مواضعها فعن أبي عثمان النهدي قال: دعا عمر بن الخطاب رضي اللّه تعالى عنه بثلاثة قراء فاستقرأهم فأمر أسرعهم قراءة أن يقرأ للناس ثلاثين آية، وأمر أوسطهم أن يقرأ خمساً وعشرين وأمر أبطأهم أن يقرأ للناس عشرين آية[١]، وعن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج قال: ما أدركت الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان- قال- فكان القارئ يقوم بسورة البقرة في ثمان ركعات فإذا قام بها في اثنتي عشرة ركعة رأى الناس أنه قد خفف[٢].

(١) البيهقي في الكبرى (٢/ ٤٩٧)، مرجع سابق.

(٢) البيهقي في الكبرى (٢/ ٤٩٧)، مرجع سابق.

http://www.al-maktabeh.com